أيها المصلحون ...!

هذا هو الطريق

للأستاذ خلف محمد الحسينى

المدير المساعد السابق للتعليم الثانوى بمنطقة أسيوط

قال حجة الإسلام الغزالى فى منزلة النفس من الجسم « النفس كالفارس ، والبدن كالفرس ، وعمى الفارس أضر من عمى الفرس » حكمة بالغة مستمدة من التجارب الصحية ، ومن الواقع الملموس . فكم من أناس ذوى صور جميلة ، وأجسام قوية ، وبهجة ورواء ، وغنى وثراء ، ولكنهم عمى البصائر ، ضعاف النفوس ، سيئو المخبر ، وإن كانوا رائعى المنظر :

لا تحسبَنّ دليل المرء صورته كم مخبر سمج عن منظر حسنِ

قلوبهم هواء ، خالية من الإيمان ، عاريةعن لباس التقوى ، عاجل أصحابها عن حلية الصبر ، كارهون للعمل والكفاح ، محبون للبطالة والكسل ، لايستحيي الواحد منهم أن يعيش كلاًّ على غيره ، كما تعيش الطفيليات ، تراهم كالنخل ، وما تدرى ما الدخل :

فى شجر السّرْوِ منهمُ مثلٌ له رواء وماله ثمـــر

بم يتحقق الاصلاح :

حينما أريد إصلاح مجتمعنا فى هذه الأيام روعى فى ذلك رفع المستوى المادى فوضعت له «خطة التنمية الاقتصادية» واعتمد لها فى الميزانية الحالية مبلغ ٢٩٥ مليوناً و٣٣٤ ألف جنيه ، وهدفها العام هومضاعفة الدخل القومى للجمهورية العربية المتحدة فى خلال عشر سنين . وقد عنى بها المصلح الصادق الرئيس جمال عناية عظيمة ، فقد ظل يتابع مراحل تنفيذها ؛ وموالاة اجتماعاته بالسادة المنوطين بإعدادها وتنفيذها ، كما أشرف على تخطيطها العام .

غير أنى لحظت أن مستوى المعيشة فى أمريكا مرتفع جداً ، وأن شعب أمريكا من أغنى شعوب العالم ولكن نسبة جرائم السرقة قد ارتفعت هناك إلى ١٦ فى المائة عما كانت عليه قبل عام ١٩٦٠ كما هو ثابت فى إحصاءات أمريكا نفسها . وسبب ذلك أن نظام الاقتصاد الأمريكى قد خلا من وسائل الإصلاح الروحى ، حتى فقد التوازن بين المطالب المادية والمطالب الروحية .

عجز القانون الدولى عن إشاعة السلام وتحقيق الإخاء :

وهانحن أولاء نرى عجز القانون الدولى وميثاق هيئة الأمم المتحدة عن إشاعة السلام وتحقيق الإخاء بين الدول . ولا تزال الكونغو والجزائر وفلسطين واليمن وجنوب إفريقية وكوبا ولاوس وغيرها فى نزاع شديد . وقتال من أجل الحرية والاستقلال ضد الاستعمار وقد أثبت الدكتور « إقبال على شاه » رئيس اتحاد المسلمين فى أوربة عجز القانون الدولى عن حفظ السلام فى محاضرته التى ألقاها فى كلية الآداب بمصر فى نوفمبر سنة ١٩٥٠ ونبه على ما يغزو الشرق من المذاهب المادية الأوربية ومايجب أن يقابل به ذلك من التمسك بالتعاليم الإسلامية الروحية ، وأعلن أن القانون الإسلامى هو قانون السلام والإنسانية ، لأن قوته مستمدة من الله وليست من صنع البشر . ثم رأى وجوب تعديل القانون الدولى فى ضوء القانون الإلهى الخالد .

وكذلك لم تعزب عن الرئيس الملهم دعامة الإصلاح الروحية ، عند بحث خطة التنمية الاقتصادية ، فقد صرح فى اجتماعه مع السادة الوزراء يوم ٢٤ من شهر يناير سنة ١٩٦١ « بأن الخطة لاتعنى مضاعفة الدخل القومى فحسب ، ولكنها ترسم ملامح إنسانية لمجتمع إنسانى جديد » ويعنى بالمجتمع الجديد المجتمع الاشتراكى التعاونى الديمقراطى .

وجميع أسس مجتمعنا الجديد مسطورة فى القرآن العظيم ولكن يعوزها التطبيق والتنفيذ ، فالاشتراكية أساسها الزكاة ومعونة الشتاء أساسها الصدقات . والتعاون مأمور به فى آية هى جماع كتب التعاون المتداولة والديمقراطية أساسها قوله تعالى : « وشاورهم فى الأمر » وقوله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » .

ووسيلة التطبيق والتنفيذ إنما هى الإيمان بهذه المثل العليا . والإيمان محله القلب « ومن لم يؤمن بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » .

« مونتجمرى » « وفرنكو » « وسارتون » « وتوينبى » :

ومن يكن فى ريب مما أقول فإنى أحيله على أقوال بعض علماء وقواد الديانات الأخرى :

قال « مونتجمرى » القائد الإنجليزى الذى انتصر فى الحرب العالمية الثانية من خطبته التى ألقاها فى شهر يولية سنة ١٩٤٨ : « إن شباب بريطانيا يعانى أزمة روحية ، وتنتابه موجة من عدم اليقين والإيمان الدينى ، وإن الشك وعدم اليقين يسلب الشباب روح المغامرة والثقة بالنفس ، وذلك فى هذا الوقت العصيب فى غاية الخطورة » .

وكذلك أعلن « فرنكو » فى مؤتمر القواد الثقافى الذى عقد بمدريد فى أكتوبر سنة ١٩٥٠ « أن أوربة دخلت أزمة خطيرة ، وأصبحت على شفا الغرق ، تتقاذفها أمواج المادية ، التى تعد ألد أعداء الحرية والعدالة » .

ومن يرد شاهداً آخر فليقرأ قول الدكتور «سارتون» أستاذ تاريخ العلوم بجامعة « هارفارد » بأمريكا من أولى محاضراته فى مكتبة الكونجرس عن الشرق الأوسط والتى ألقاها فى ابريل سنة ١٩٥٠ قال : « إن الحضارة والتقدم الحقيقى يسيران فى رحاب الدين .

ولقد أعلن الأستاذ « أرنولد توينبى » المؤرخ الإنجليزى فى أثناء مناظرته مع سفير اسرائيل فى هذه الأيام : « أن أمريكا والإتحاد السوفيتى قد بلغا درجة خطيرة من القوة والصراع ، وعلى الرغم من ذلك فإن كلمة الخلاص للإنسانية لن تأتى من أيهما « وأنها قد تأتى من أمكنة أخرى لا تخطر لنا على بال » .

والأمكنة الأخرى فى رأيى هى الشرق الأوسط مهبط الديانات ، ومنقذ الإنسانية من ضلالها القديم ، وقاعدته الآن « الجمهورية العربية المتحدة » مركز الحرية الدينية والسياسية ، وقطب حضارة المجتمع العربى . ومحور نشاطه ومؤتمراته وفى مقدمتها المؤتمر الإسلامى المزمع انعقاده قريباً فى القاهرة .

المقترحات :

ولهذا أقترح لتنفيذ الخطة الإصلاحية الروحية المقترحات الآتية ، لعلها أو بعضها يكون مما يراه المختصون جديراً بالاعتبار :

١ — جعل الدين مادة أساسية يمتحن فيها الطلاب والطالبات كسائر المواد فى جميع مراحل التعليم ، فى الشهادات العامة ، وفى الجامعات لإزالة الشكوك التى تخالج كثيراً من الشبان ، ولتطهير النفوس من الأطماع المادية ،والمداوة والبغضاء ، والظلم والأثرة الذاتية ، والتهاون فى أداء الواجبات إلى غير ذلك من الآفات الاجتماعية ، التى تهدد الإنسانية ، وللدين والعقيدة أقوى سلطان على تهذيب النفوس وإنارة الطريق لها ، ومن لم يكن له من نفسه وازع دينى ، فلن يزعه أى قانون وضعى .

٢ — تشجيع مدارس القرآن وحفاظه والمعنيين بدراسته بوسائل التشجيع المختلفة ، أسوة بالفائقين فى العلوم المادية ، والفنون ، والأغانى الشعبية ، لتسير الخطة الروحية الخطة الاقتصادية ، ولتدعيم كلتاهما بالأخرى ، فيرتكز الإصلاح على دعامته الأساسيتين .

ولا يفوتنى أن أنوه بعناية السيد وزير الأوقاف بالقرآن وأهله ومدارسه . تلك العناية التى ظهرت فى تشجيع حفاظته ولاسيما طلبة الجامعات . ولو تم تنفيذ فكرة اختيار المثقفين الصالحين المتدينين ليكونوا سفراء أو ملحقين بالسفارات العربية فى الخارج ، لكان ذلك حافزاً للكثير على الإقبال على مدارس القرآن واعتناق مثلها العليا .

٣ — منع تداول الكتب والقصص والروايات والأفلام السينمائية التى تغرى الشباب بالفساد « والله لا يحب المفسدين » .